ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النشء بتربية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وادارة البيوت — وأنما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة دينا وعقلا وأدبا بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا أولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ماترك سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرنجين الذين أصابوا حظا من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلا من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غرورا بأنفسهم ، واحتقارا لأمر أمتهم ، فطفقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

المباينة بين الجامدين والمتفرنجين عظيمة ، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه ، ويعده علة لضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، ويَنفرون ويُنفّرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لاقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق ان كلا منهما مخطئ في شيء ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وان الامة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها الا الاضلال والهلاك .

وأما حزب الاصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد ان يكون معقد الارتباط والاتصال بينهما بارجاع كل منهما عن خطأه ، والسير بالامة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها ، وتعيد الموروث النافع منها الى جدته ، وتتدرج في استبدال النافع بالضار منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته مالا تقوم لامة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الاصلاح ولا بيان أحوال الاحزاب الثلاثة ، وانما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا ان فقيد الاسلام في الهند كان ركنا من الاصلاح الاسلامي

ولم يكن طلاب الاصلاح الا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح أمتهم . وكان المعقول ان يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجمود منهم على المتفرنجين ، ولكن كثيرا ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبراء الجامدين من الشيوخ هم أشد حسدا وبغضا للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائق له ما لا يضعون لغيره . — فلهذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الاصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس الى مساعدته المتدينون من كبراء الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الامير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي راجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغا كبيرا من المال يدفعه سنويا لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كمدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الاصلاح ما كان ليشايعه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الاميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصلح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام، فقد كانت ظهيرة الشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . واننا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم　　متع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

إني لم أزل أقرأ في الجرائد ماتبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بغيتنا التي كنا ننشدها نحن أهل الندوة ، فجعل الله سعيكم مشكورا ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر للقائكم، ولكن هيهات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرصاصة أصابتها فبقيت جليسا[1] للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر. والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النميقة ان الاميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايالة بوفال [2] خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جرج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عظماء بلادنا أعطت مائة ألف روبية[3] لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روبية جراية شهرية لندوتنا ، وكم لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب احدى المعلمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالمرجو من حضرتكم انها لما تصل الى قاهرة [1] وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم[2]

شبلي نعماني

في ٧ مايو سنة ١٩١١　　ندوة　　لكهنؤ

١ ـ يحتمل ان تكون الكلمة « حلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان حلس بيته ، أي ملازمه . وأصل الحلس مايفرش تحت سرج الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه

٢ ـ هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوپال »

هذا وان الفقيد رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما حمله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها . وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه

لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسّه وموّه به لا أصل له أصلا، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرتُ وأمعنت النظر فيما به نظر . ولما عيل عني الصبر ونأى، قمت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما فُرِغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

ومما انهيه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر[٣] هذا المحفل العظيم وواسطة عقده النظيم حضرتكم الشريفة ، فان تشرفونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى ، ويحصل بمن

١ــ كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظلون يغلطون في تعريف الاعلام وتنكيرها

٢ــ لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها ونختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الآنسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى ، وانه ليوجد في الهند معلمات انكليزيات لا يزيد راتب احداهن عن بضعة جنيهات

٣ــ يعنون بكلمة صدر ما نعبر نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، و يعظم بذلك محفل ندوتنا و يقدر قدره. وفي طي رقيمي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تعين لها في كل شهر خمسمائة روبية من خزائنها ، فان عزم جنابكم على تشريفنا بما اقترحناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والي الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم و يستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك . ودمتم أفندم ، شبلي نعماني

٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء — لكهنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل — وأنا ناظر موظف لها، والروح المدبر في تأسيسها والقيام بها ، — ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلتي الى الهند خير لمشروعنا لان إشهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقروا في جلسة رسمية إجازتي واعانتي على ذلك

اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عميد الدولة الانكليزية هنا، وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لأتوسل بها الى هذه الاجازة ، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة ، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك ، فلقي الشيخ من انكار والي لكهنؤ عليه دعوتي الى رياسة مؤتمر الندوة ما لقي ، وأمكنه ارضاؤه بما كان أعده لذلك من الحجج ، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأبين شيخنا الاستاذ الامام من مدح حزبه ، وخطبة للدكتور مرجليوث الأستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا ، اذ كان الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل . ورحم الله الشيخ شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه